

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ

بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 15]

❖ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

كشّف الباطل
وتهوينه بعد
إعلان التّوحيد
والحق

لما أعلنوا التّوحيد وجابهوا المشركين من قومهم؛ لم يكتفوا بذلك، بل أتبعوه ببيان بطلان عقيدة المشركين من قومهم⁽¹⁾، فشرعوا في الاستدلال على كون الشّرك شططاً بأنّه لا دليل عليه، وأنّهم لم يقلّدوا قومهم، بل فارقوهم لكونهم ليس لديهم دليل على عقيدة الشّرك⁽²⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بِسُلْطَانٍ﴾: (سلط) أصلٌ يدلُّ على القوّة والقهر، من ذلك السّلاطَةُ مِنَ التّسلُّطِ وهو القهر، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السُّلْطَانُ سُلْطَانًا، والسُّلْطَانُ: الحُجَّةُ⁽³⁾، وإنّما سُمِّيَ الحُجَّةُ سُلْطَانًا، وذلك لما يلحق من الهُجُوم على القلوب، لكنّ أكثر تسلّطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ [غافر: 35]، وقال: ﴿فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: 10]⁽⁴⁾، والمراد به في الآية الكريمة: الحُجَّةُ الظّاهرة البيّنة على دعواهم⁽⁵⁾.

(2) ﴿افْتَرَى﴾: (فري) أصله يدلُّ على قطع الشّيء، ثمّ يفرّع منه ما يُقَارِبُهُ، وفلانٌ يَفْرِي الفريّ؛ إذا كان يأتي بالعَجَبِ، كأنّه يقطع الشّيء قطعاً عَجَبًا، ويُقال: فَرَى فلانٌ كَذِبًا يَفْرِيهِ؛ إذا خَلَقَهُ⁽⁶⁾، والفريّ:

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4501/9.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/12.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلط).

(4) الرّازب، المفردات: (سلط).

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 210/5.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فري).

قَطَعَ الجِلْدَ للخِرْزِ والإِصْلَاحِ، والإِفْرَاءُ للإِفْسَادِ، والإِفْتِرَاءُ فيهما وفي الإِفْسَادِ أَكْثَرُ، وكذلك اسْتُعْمِلَ في القرآن في الكُذْبِ والشُّرْكِ والظُّلْمِ، نحو: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١٨) [النساء: 48]، وفي الكُذْبِ نحو: ﴿افْتَرَاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا﴾ [الأنعام: 140]، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الأنعام: 103] (1)، والافتراء افتعال مِنْ الفري، يدلُّ على المبالغة في الفري والكُذْبِ (2)، وذلك أَنَّهُم افْتَرَوْا عليه، وزعموا أَنَّ له شركاء، تعالى الله عما يصفون (3).

❁ المعنى الإجمالي:

يُخْبِر النَّظْمُ الجليل أَنَّهُم قالوا لقومهم أو أَنَّهُم قالوا لبعضهم: هؤلاء قومنا عملوا، أو نحتوا لهم آلهة غير الله، فهلاً أتوا على عبادتهم لها بدليل واضح؛ تبكيًا لهم، فلا يمكن بحال الإتيان بتلك الحجّة على عبادة الأوثان، ولا بدّ من تلك الحجّة، فإنّ الدّين لا يُؤخَذُ إلّا بالبرهان، فلا أحدٌ أَشدُّ ظلمًا ممّن اختلق على الله الكُذْبَ؛ لأنَّهُم لم يأتوا ببرهان، فهم ظالمون في حقّ الله بجعلهم وافتراءهم آلهة زعموا أَنّها مساوية له في رتبته العليا، تعالى الله عما يشركون (4).

لا ظلمَ كظلم
مَنْ يُشْرِكْ بالله
تعالى

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علّة فصل جملة ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ عما قبلها:

فَصَلَ النَّظْمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾؛ لأنّها استئنافٌ بيانيٌّ، فإنّ قوله جلّ شأنه: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ يثير في نفس السّامع أن يتساءل: وهل هناك مَنْ يقول هذا الشّطط، ويشرك بالله تعالى؟ (5) وفيه بيانٌ ركنٍ أصيل

سبب مفارقتهم
قومهم بناءً
دينهم على
الظنون والأوهام

(1) الزاغب، المفردات: (فري).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4 / 10.

(3) الإيجي، جامع البيان: 2 / 427.

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 2 / 289، والقاسمي، محاسن التأويل: 7 / 10.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 274.

من أركان قصّتهم؛ إذ لولا مفارقة قومهم لهم بالاعتقاد لما كان منهم أن يقوموا، ويقولوا ما قالوا، ولا أن يخرجوا إلى الكهف، فذكر كون قومهم اتّخذوا من دون الله تعالى آلهة هو السبب الرئيس في المفارقة، وفي ظهور هذه القصّة، فكان بيانه بعد إعلان توحيدهم بياناً لأصل القصّة وسبب المفارقة.

سرّ التعبير باسم الإشارة ﴿هَؤُلَاءِ﴾:

آثَرَ النّظْمُ الكريمُ التّعبيرَ عن القوم باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ تحقيراً لهم⁽¹⁾، فذكر المتحدّث عنه بالإشارة دون اسمه فيه تهوين من شأنه، كما أنّ الحديث عن القوم باسم الإشارة يدلُّ على "تمييزهم بما سيُخبر به عنهم، وفي هذه الإشارة تعريضٌ بالتّعجب من حالهم وتفضيح صنعهم، وهو من لوازم قصد التّمييز"⁽²⁾.

نكتة التعبير بالقومية، والإضافة إلى ضمير المتكلمين:

عبّروا عن أهلهم وبلدٍهم بلفظ القوم، وإضافته إلى ضمير المتكلم في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ إشارة إلى "ما يربطهم بهم من صلات الجوار والنسب أحياناً، وفي ذلك إشارة إلى أنّ واجب هذه الصلات أن يرشدوهم ويهدوهم"⁽³⁾، كما أنّ فيه إشارة إلى أنّهم إنّما يتكلمون بعلم ودراية، لا بظنٍّ وأوهام، كما يفعل المشركون إذ يعبدون آلهة بلا سلطان ولا برهان؛ لأنّهم إذ يعترضون على إشراف قومهم، فإنّهم بهم أعلم لما عاينوا من الحياة بينهم، كما أنّ التّعبير بلفظ القوم يدلُّ على أنّ هناك إجماعاً بينهم على ذلك الشّرك والانحراف عن الدّين القويم.

هَانِ شَأْنُهُمْ
بِإِشْرَافِهِمْ حَتَّى
اسْتَغْنَى الْأَبْنَاءُ
عَنْ ذِكْرِهِمْ
بِاسْمِهِمْ

أَسْوَأُ الضَّالِّينَ
ضَالُّ الْقَوْمِ
كَأَلِهِمْ، بِحَيْثُ
غَابَ عَنْهُمْ
الرُّشْدُ

(1) القنّوجي، فتح البيان: 20 / 8.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 274 / 15.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4501 - 4502.

دلالة الإخبار على الإنكار:

أخبر النظم الجليل عن اسم الإشارة بالجملة الخبرية في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾⁽¹⁾، فالجملة خبرٌ جيءَ به للإنكار "عليهم دون الإخبار؛ إذ اتخذهم آلهةً من دون الله معلومٌ بين المتخاطبين، فليس الإخبارُ به بمفيد فائدة الخبر"⁽²⁾، فشرّكهم لا يخفى، والتّصريح به؛ لأنّه موطنُ الخلاف وسببُ الخروج والمفارقة، كما أنّ فيه تقييحاً لفعالهم؛ إذ إنّهم اتّخذوا من دون ربّ السموات والأرض القائم على كلّ نفس آلهةً لا تنفع، ولا تضرّ.

إنّما قبح الشّرك
لوضع آلهة
عاجزة برتبة ربّ
السموات الأرض

سرّ إثبات لفظ الاتّخاذ، وصيغة الماضي:

آثر النظم الكريم التّعبير بلفظ الاتّخاذ في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: للدّلالة على أنّهم عملوا، أو نحتوا لهم آلهة لعبادتها⁽³⁾، فهم قد تكلّفوا أخذها، ويدلّ الاتّخاذ على أنّهم من جعلها آلهة، وهي ليست من ذلك في شيء، فبذلوا جهداً، واصطنعوا هذه الآلهة التي ليس لديهم عليها حجّة وبرهان.

تكلف الشّرك
ينفي البراءة عنه
بتسويغ وراثته

تقديم قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ على: ﴿آلِهَةً﴾:

قدّم النظم الجليل شبه الجملة من الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾، ولم يقل على الأصل: (اتّخذوا آلهة من دونه)؛ تهويلاً لشأن الشّرك، فإنّ الإثّم حاصلٌ بسبب كون العبادة كائنة لغير الله تعالى، فتقديم ذكر أنّ معبودهم هو غير الله أبلغ في إظهار خطئه وفحشه.

من عجائب
النّاس إشراكهم
الحجارة برّب
السموات
والأرض

دلالة ﴿لَوْلَا﴾ وأثرها في المعنى:

عبّر النظم البليغ في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾

تعجيزٌ للشركين
بالاحتجاج على
أصنامهم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 210 / 5.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 274 / 15.

(3) القاسمي، محاسن التّأويل: 10 / 7.

بـ ﴿لَوْلَا﴾ الدَّالَّةُ عَلَى التَّحْضِيضِ تَعْجِيزًا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ تَحْضِيضٌ عَلَى مَا لَا يُمْكِنُ لَهُمْ فَعَلَهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ⁽¹⁾، "أَي: هَلَّا يَأْتُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهَا بِحُجَّةٍ نِيرَةٍ ظَاهِرَةٍ تَصْلَحُ لِلتَّمَسُّكِ بِهَا، وَفِيهِ تَبَكُّيْتُ؛ لِأَنَّ الْإِتْيَانَ بِحُجَّةٍ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مُحَالٌ"⁽²⁾، فَلَوْلَا: تَحْضِيضٌ صَحْبُهُ الْإِنْكَارُ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ وَقُوعُ سُلْطَانِ بَيِّنٍ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يُمْكِنُ فِيهِ التَّحْضِيضُ الصَّرْفَ، فَحَضُّوهُمْ عَلَى ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْجِيزِ لَهُمْ⁽³⁾.

إِيثَارُ اسْتِعْمَالِ ﴿يَأْتُونَ﴾ وَمُضَارِعِهِ:

آثَرُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرَ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾؛ لِمَا فِي الْمُضَارِعِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى الدَّوَامِ وَالتَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَفِي ذَلِكَ تَبْيِيهُ انْتِفَاءِ الدَّلِيلِ عَلَى مَعْتَقَدِهِمْ، أَي: إِنَّ قَوْمَنَا مِنْ حِينَ عِبَادَتِهِمْ إِلَى الْآنَ لَمْ يَأْتُوا عَلَى ذَلِكَ بِدَلِيلٍ، فَهَلَّا يَأْتُونَ بِهِ الْآنَ⁽⁴⁾، فَيَكُونُ طَلِبُهُمُ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ يُشِيرُ إِلَى تَعْجِيزِهِمْ؛ لِأَنَّ وَقْتَ الْإِيْتَاءِ بِهَذَا الدَّلِيلِ مَفْتُوحٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْهُ، وَهَذَا أُبْلَغُ فِي بَيَانِ فَقْدَانِهِمُ الْحُجَّةَ وَالْبِرْهَانَ عَلَى شَرِكِهِمْ وَضَلَالِهِمْ.

فَائِدَةُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

عَلَّقَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْإِيْتَاءَ بِالسُّلْطَانِ بِحَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى) الدَّالِّ عَلَى الْاسْتِعْلَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْبِرْهَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَاطِعًا، أَي: دَلِيلًا قَاهِرًا⁽⁵⁾، فَالدَّلِيلُ لَا يَكُونُ دَلِيلًا؛ مَا لَمْ يَكُنْ مَتَمَكِّنًا مِنَ الْإِفْصَاحِ عَنْ مَوْطِنِ الْاسْتِدْلَالِ، فَهُمْ طَلَبُوا أَنْ يَقْدُمُوا حُجَّةً بِحَيْثُ لَا تَنْتَقِضُ بِأَنْ تَكُونَ مَتَمَكِّنَةً فِي بَيَانِ صَحَّةِ دِينِهِمْ وَمَعْتَقَدِهِمْ.

العجزُ عن
الإتيانِ بدليل
على طول الزَّمانِ
دليلٌ على فقدانه

البرهانُ المقبولُ
مشروطٌ فيه
التَّمَكُّنُ من
البيانِ، وسلامة
المنطق

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/ 501.

(2) القنوجي، فتح البيان: 8/ 20.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 149.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 22.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 23.

نكتة تنكير ﴿بِسُلْطَانٍ﴾، ووصفه بـ ﴿بَيْنٍ﴾:

أثر النظم الكريم التعبير عن السلطان بالتنكير في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنٍ﴾ للدلالة على أنهم مدعوون لتقديم أي دليل كان، "أي: هَلَّا يأتون على عبادتهم لها بحجة نيرة ظاهرة تصلح للتمسك بها"⁽¹⁾، وحين لم يقدموا ما يمكن أن يعدّ دليلاً؛ دلّ ذلك على أنهم اتخذوا تلك الآلهة بمحض الافتعال ونية الإشراف.

ووصف السلطان بكونه بيناً، أي: واضحاً، بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم، فإنّ الدين لا يؤخذ إلا به، واستدل به على أن ما لا دليل عليه من أمثال ما ذكر مردود⁽²⁾.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَمَنْ﴾:

أدخل النظم الجليل الفاء على الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ للدلالة على السببية، أي: بعد طلب البرهان والعجز عنه؛ سبب ذلك أن افتراء الشريك على الله تعالى لا أظلم منه⁽³⁾، أي: إنّنا "قد جمعنا الأدلة كلّها في الاستدلال على تفرد الله باستحقاقه للعبادة، بأنّه تفرد بخلق الوجود، فتسبّب عن عجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين لافتعالهم الكذب عن ملك الملوك ومالك الملك"⁽⁴⁾.

بلاغة الاستفهام في الآية:

عبر النظم الجليل بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ للنفي، أي: لا أحد أظلم ممن تعمّد الكذب على الله تعالى، بإثبات الشريك إلى الله تعالى⁽⁵⁾، والنفي

كما أتىخ
الزمان لتقديم
البرهان؛ أتىخ
لهم كلّ نوع من
أنواع الدلائل

العجز عن
الدليل مع
الجراءة على
الفعل غاية
الظلم

بعد الطلب
والتحري يتبين
أنّه لا ظالم
أظلم من المشرك

(1) الفتّوجي، فتح البيان: 8/ 20.

(2) الألوسي، روح المعاني: 8/ 210.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 82.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 23.

(5) الفتّوجي، فتح البيان: 8/ 20، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4502.

بالاستفهام أبلغ من النفي الصريح؛ لما فيه من تساؤل يثير الانتباه على أن الأظلم انتفى وجوده بعد التحري والطلب، وفيه تقرير لعظم جرم الداعين مع الله آلهة⁽¹⁾.

دلالة صيغة (أفعل) في قوله: ﴿أَظْلَمُ﴾:

الشِّرْكُ ظُلْمٌ
فريد لا مساوي
له في رتبته

آثر النظم الكريم التعبير عن الظلم بصيغة (أفعل) في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ لبيان أن الكاذب المفترى على الله تعالى بنسبة الشريك إليه واتخاذ آلهة من دونه كائن في أعلى رتبة من رتب الظلم، فلا مساوي له في الظلم، فالمشرك ارتكب أشنع الظلم وأقبحه، وكل ظلم دونه أهون منه، أي: "لا مساوي له في الظلم والكفر، إشارة إلى أنهم لا يأتون ببرهان، فهم ظالمون في حق الله؛ لافتراءهم عليه بأن في رتبته العليا شركاء يساوونه فيها"⁽²⁾.

سرّ العدول عن (المفترى) إلى (من افترى):

لا يسلم مفترٍ
على الله الكذب
من وصف الظلم

التعبير بالموصل (من) فيه إيماء إلى تحقق الخبر، وإظهار علة الظلم، وأنها السبب في هذا الوصف، فكل من يفترى على الله الكذب يندرج ضمن وصف الظلم، وفي الإتيان بالدال منه على الإبهام (من) ليعم كل مفترٍ، وليشمل كل من ينطبق عليه هذا الوصف، وليس القوم الذين ذكروا في الآية حسب، وليتجاوز المتصف به على وجه الرسوخ، والمحقق بصيغة اسم الفاعل إلى إدخال مقترفه لأدنى ملابسة، وذلك لفداحة الفعل وشناعته.

دلالة التعبير بصيغة الافتعال ﴿افترى﴾:

الشِّرْكُ عَمَلٌ
بكلفة وافتعال
وبذل جهد،
تعبيرًا عن سوء
نيتهم وفعلهم

صاغ النظم الجليل لفظ الافتراء بصيغة الافتعال بالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/ 501.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 10.

للدلالة على شدة الافتراء، وافتري: افتعال لإفادة المبالغة في الفري، يقال: افتري الجلد، كأنه اشتد في تقطيعه، فأطلقوا على الإخبار عن شيء بأنه وقع، ولم يقع اسم الافتراء بمعنى الكذب، ونظيره إطلاق اسم الاختلاق على الكذب⁽¹⁾، فهم كذبوا على الله تعالى بتكليف وحرص وقصد، فجهدوا أنفسهم لافتعال ذلك، وهذا يحيل تحمّل الخطأ الفاحش عليهم، فلا مفرّ لهم من تحمّل آثامهم برميها على الآباء والأجداد.

فائدة الجارّ والمجرور: ﴿عَلَى اللَّهِ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ لتأكيد عظم ذلك الافتراء، فَإِنَّ الافتراءَ قَبِيحٌ لِدَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ سَيَكُونُ أَكْثَرَ قَبْحًا بِمَقْصَدِهِ، وَكَذَا يَزْدَادُ قَبْحًا بِاعْتِبَارِ مَكَانَةِ مَنْ افْتَرَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ الافتراءُ بِشَأْنِ الْعَقْدِ وَالْأَدْيَانِ كَانَ افْتِرَاءُ قَبِيحًا، وَلَمَّا كَانَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ أَشَدَّ الافتراءِ وَأَقْبَحَهُ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ هُنَا تَقْبِيحُ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَفَضْحُ قَوْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ تِلْكَ الْإِلَهَةَ بِمَحْضِ الْإِفْتِرَاءِ وَالْإِنْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بـ ﴿كَذِبًا﴾ بَعْدَ الْإِفْتِرَاءِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِذِكْرِ الْكَذْبِ بَعْدَ الْإِفْتِرَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وَكَانَ الْإِفْتِرَاءُ وَافِيًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْكَذِبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّصْرِيحَ بِالْكَذْبِ بَعْدَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ تَأْكِيدٌ عَلَيْهِ⁽²⁾، وَمِبَالِغَةٌ فِي بَيَانِ فَحْشِهِ، فَالْشَّيْءُ يُعْظَمُ بِمَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِفْتِرَاءُ مُتَّصِفًا بِكَوْنِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ كَانَ أَفْحَشَ الْإِفْتِرَاءِ وَأَتَمَّهُ، فَحَسُنَ تَأْكِيدُهُ لِبَيَانِ ذَلِكَ الْفَحْشِ.

يُعْظَمُ الْإِفْتِرَاءُ
بِمَنْ افْتَرَى عَلَيْهِ
وَلَا أَفْحَشَ مِنْ
إِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى

قَصْدُ الْكَذْبِ فِي
الْإِفْتِرَاءِ أَفْحَشُ
مِنْ الْإِفْتِرَاءِ ذَاتِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 10.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 10.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

السلطان والحجة:

السلطان أقوى
من الحجة؛ إذ
يحمل معنى
القوة في التنفيذ

اشتقَّ السلطانُ من السُّلطة، بمعنى القوَّة والسَّلاطة لحدَّة اللِّسان⁽¹⁾، أما الحُجَّةُ فهي البرهان⁽²⁾، وهي الدلالة المبيِّنة للمحجَّة، أي: المقصدُ المستقيمُ الذي يقتضي صحَّة أحد التَّقْيِضِينِ⁽³⁾، فالسلطان أقوى من الحجة؛ لأنَّه يحمل معنى زائدًا على الحجة، وهو القوَّة في التَّنْفِيز، ولذلك أثر القرآنُ هنا السلطانَ دون الحجة؛ لأنَّها في معرض إثبات إلهيَّة المعبود، فيجب أن تكون حجةً بالغة في القوَّة لإحداث الإقناع.

الافتراء والكذب:

الافتراء كذبٌ
في حقِّ غيره،
فهو أبلغُ الكذب
وأشدُّه

الكذبُ: هو الإخبارُ بما لا يطابق الواقع، والافتراء: أخصُّ منه؛ لأنَّه يدلُّ على الكذب في حقِّ الآخرين بما لا يرضونه، وأمَّا الكذبُ؛ فإنَّه قد يكون في حقِّ المتكلِّم نفسه، ولذا يقال لمن مدح أحدًا بما ليس فيه: إنَّه كاذبٌ في وصفه، ولا يقال: هو مفترٍ؛ لأنَّ في ذلك ممَّا يرتضيه المقول فيه غالبًا، وقال سبحانه حكاية عن الكفار: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، لزعمهم أنَّه أتاهم بما لا يرتضيه الله سبحانه مع نسبته إليه، وأيضًا قد يحسن الكذبُ على بعض الوجوه، كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، وعدَّة الزَّوجة، كما وردت به الروايةُ، بخلاف الافتراء⁽⁴⁾، فعبرَ عن اتِّخاذهم إلهًا غير الله تعالى بالافتراء؛ لأنَّهم كذبوا على الله تعالى بما لا يرتضيه، بأن جعلوا له شركاء في العبادة.

(1) الكفوي، الكليات، ص: 493.

(2) الجوهري، الصحاح: (حجج).

(3) الزَّاغِب، المفردات: (حج).

(4) العسكري، الفروق: 449 - 450.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-26-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»